رسالة التوابع والزوابع (لابن شهيد)

بقلم الأستاذ على أدهم

مقدمة :

أبو عامر أحمد بن شهيد علم من أعلام الأدب الأندلسى ، وأحد الشعراء والكتاب المشهود لهم بالتفوق والاجادة فى الشعر والنثر ، ومؤرخو الأدب القدامى سواء فى المغرب والمشرق يشيدون بذكره ، ويجلون شأنه ، ويبدون اعجابهم بتفوقه وامتيازه ، فابن بسام صاحب الذخيرة يقول عنه : « كان أبو عامر شيخ الحضرة العظمى وفتاها ، ومبدأ الغاية القصوى ومنتهاها ، وينبوع آياتها ، ومادة حياتها ، وحقيقة ذاتها ، وابن ساستها وأساتها ، ومعنى اسمائها ومسمياتها ، نادرة الفلك الدوار ، وأعجوبة الليل والنهار ، انهزل فسجع الحمام ، أوجد فزئير الأسد الضرغام ، نظم كما اتسق الدر على النحور ، ونثر كما خلط المسك بالكافور ، الى نوادر كاطراف القنا الاملود ، تشق القلوب قبل الجلود ، وجوابه بحرى مجرى النفس ، ويسبق رجع الطرف المختلس » .

وابن بسام أديب ذواقة ، وناقد لا يرسل الكلام على عواهنه ، وقد كان أبو مردان ابن حيان المؤرخ الأندلسى الكبير أشد منه صرامة ، وأصرح منه عبارة ، وهو ناقد للرجال والأدب شديد الوطأة ، وهو مع ذلك يقول عن ابن شهيد « كان أبو عامر يبلغ المعنى ، ولا يطيل سفر الكلام ، واذا تأملته ولسنه ، وكيف يجرى فى البلاغة رسنه ، قلت عبد الحميد فى أوانه ، والجاحظ فى زمانه ، والعجب منه أنه كان يدعو قريحته الى ما شاء من نثره ونظمه فى بديهته ورويته ، فيقود الكلام كما يريد من غير اقتناء للكتب ، ولا اعتناء بالطلب ، ولا رسوخ فى الادب ، فانه لم يوجد له ــ رحمه الله ــ فيما بلغنى بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ، ويشحذ به من طبعه الا ما لا قدر له ، فزاد ذلك فى عجائبه ، واعجاز بدائعه ، وكان فى تنميق الهزل والنادرة الحادة أقدر منه على سائر ذلك ، وشعره حسن عند أهل

النقد ، تصرف تصرف المطبوعين ، فلم يقصد عن غايتهم، وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وأنواع التعريض والاهزال ، قصار وطوال ، برز فيها شأوه ، وبقاها فى الناس خالدة بعده ، وكان فى سرعة البديهة ، وحضور الجواب وحدته ، مع رقة حواشى كلامه ، وسهولة ألفاظه، وبراعة أوصافه، ونزاهة شمائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه ، من رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها ونزاهة شمائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه، من رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحط فى هواه شديدا حتى أسقط شرفه • ووهم نفسه ، راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة ، وكان مع ذلك من أصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه فى ذاته ، وأشدهم جناية على حاله ونصابه ، وكان له فى الكرم والجود انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتى شارف الاملاق ، فمضى على هذه السبيل رحمه الله » •

وقد أعطانا ابن حيان فى هذا الوصف صورة موجزة لأدب ابن شهيد وشخصيته ، فى صراحته المعهودة ، والظاهر ان ابن بسام أعجب بها ، واعتمد عليها ، فنقلها لنا فى كتاب الذخيرة ، وهو دائما كثير الاعتماد على ابن حيان ، وبخاصة من الناحية التاريخية ، وشديد الثقة به •

والأديب الأندلسى المعروف ، أبو نصر الفتح ابن خاقان ، ويقول عنه فى كتابه «مطمح الأنفس» « الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعى ، عالم بأقسام البلاغة ومعانيها ، حائز قصب السبق فيها ، لا يشبهه أحد من أهل زمانه، ولا ينسق ما نسق من در البيان وجمانه ، توغل فى شعاب البلاغة وطرقها ، وأخذ على متعاطبها مابين مغربها ومشرقها، لا يقاومه عمرو بن بحر، ولا تراه يغترف الامن الا من بحر ، مع انطباع مشى فى طريقه بأحد باع ، وله الحسب المشهور ، والمكان الذى لم يعده للظهور ، وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك الفاخر والأوضاح ، صاحب الضحاك يوم المرج ، وراكب ذلك الهرج ، وأبو عامر حفيده من ذلك النسب ، ونبع لا يراش الا مع ذلك الغرب » •

وابن دحية يقول عند المطرب : « وأبو عامر هذا أرسخ أهل الاندلس قاطبة بالأدب ، ينسل اليه من كل حدب ، ولم ير لنفسه فى البلاغة أحدا يجاريه ، ويساجله فى جميع العلوم ويباريه، وأما الكرم فلا يقاربه فسيد أحد من أهل البلاغة و لايدانيه » •

ولم يقصر أدباء المشرق فى التنويه باسمه ، والاشادة بادبه ، فابن خلكان يقول عنه فى كتابه: « وفيات الاعيان » كان من أعلم أهل الاندلس ، متقنا بارعا فى فنونه ، وبينه وبين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات ، وله التصانيف الغريبة البديعة ، منها كتاب « كشف الدك وايضاح الشك » ، ومنها « التوابع والزوابع » ومنها « حانوت العطار » وغير ذلك ، وكان فيه مع هذه الفضائل كرم مفرط ، وله فى ذلك حكايات ونوادر » •

وعنى أبو منصور الثعالبى فى كتابه « يتيمه الدهر » بنقل مجموعة مختارة من شعر ابن شهيد ورسائله النثرية ، وقال عنه ياقوت الحموى فى معجم الأدباء « وهو من العلماء بالأدب ، ومعانى الشعر ، وأقسام البلاغة ، وله حظ من ذلك بسق

فيه ، ولم ير لنفسه في البلاغة أحدا يجاريه ، وله كتاب حانوت عطار في نحة من ذلك ، وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد كثيرة الهزل ، وشعره كثير مشهور ، وقد ذكره ابو محمد على بن احمد (ابن حزم) مفتخرا به فقال « ولنا من البلغاء أحمد ابن عبد الملك بن شهيد ، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار ، ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمر وسهل (يريد سهل بن هارون والجاحظ) ... وكان جوادا لا يليق شيئا ، ولا يأسى على فائت ، عزيز النفس ، مائلا الى الهزل ، وكان له من علم الطب نصيب وافر » .

سيرته :

وأبو عامر سليل أسرة برزت واشتهرت في عالمي السياسة والأدب ، فجده الأعلى وهو المسمى بعد عبدالملك كان وزيرا للأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط ، وجده أحمد بن عبد الملك كان وزيرا للخليفة الأموى الاندلسي عبد الرحمن الناصر ، وأول من أحرز لقب ذي الوزارتين ، وكان أثيرا عند الناصر ، ومن أشد المقربين اليه ، أما والد الشاعر فكان عاملا للمنصور بن ابي عامر بشرق الأندلس في اقليم بلنسية ، وكانت له مكانة كبيرة في الحاجب ، ويروى انه حينما عاد الى قرطبة بثروة عظيمة ، وكان قد سئم العمل ، ومل الخدمة ، فكتب الى المنصور « ان كبير حق المولى لا يذهب بصغير حق العبد ، ولي حرمة أدل بها ، وذمة انبسط لها ، وقد طالت على الغربة وسئمت الخدمة ، ومللت من النعمة ، فالادالة الادالة » فأداله المنصور على رضاه ، واشخصه اليه على هواه ، فلما ورد قرطبة ، ومعه ثروته من المال والرقيق ، كتب الى المنصور يعرض عليه ما جاء به ، ويحكمه فيه ، فجاوبه المنصور قائلا « لو أردنا أخذ ما أعطيناك ما قدمناك ، ونحن نخاف أن تستصفى نفقتك ما استقته ، وتأتي على ما اجتلبته ، بارتفاع ثمن الطعام ، وانك لم ترد منه على ذخيرة » وأمر له بما يستظهر به على زمنه وتكاليف حياته ، ويقول المؤرخ الاندلسي الرازى ان جد أسرة ابن شهيد كان مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم ، وشهيد ابن عيسى هو الداخل الى الاندلس في أيام عبد الرحمن الداخل ، وتصرف بنوه للخلفاء في الخطط السنية من الامارة والحجابة والوزارة والكتابة الى انقراض الدولة الاموية .

وقد ولد أحمد بن شهيد في بيت أبيه بقرطبة سنة ٣٨٢ هجرية في عهد المنصور بن أبي عامر ، ونشأ في مهاد النعمة ، والعيشة الراغدة اللينة ، وكان له من ثراء أسرته ، وسعة نفوذها ، ومتين صلتها بالأسرة الحاكمة ما يكفل له المستقبل ويغريه بالاقبال على متع الحياة ، وقد روى لنا في احدى رسائله القصة الآتية « صرت بين يدى المنصور في يوم مطير ، وأنا ابن خمس ، اذكر ذلك ذكرى لما كان بالأمس ، وكان من اكرامه لي ، ولطيف اهتمامه بي ، ما يطول به الكتاب ولا يحتمله الخطاب ، وعينه ومحضه ، وصريحه وزبده ، أنه وهبني يوما تفاحة كانت بين يديه كبيرة ، ورآني أنظر اليها نظرة الكلف ، وأتأملها تأمل الشره ، فأمرني بالقبض عليها ، والعض فيها ، فضاق فمي عن أن أحيط بجزء من أجزاء كرتها ، وصغرت كفي عن ان تقبض الا بمخنق من مخانق انحائها ، فجعل يقطع لى بفمه ، ويطعمني على حكمه ، ودعا الناصر (ابن المنصور) ومعه فتى سمعتهم يكنونه أبا شاكر ، فقال له « احمله الى أمك ، وارفق به

فى أمك ، فأخذا بيدى أمامه ، وابتدرا يسيران بى قدامه ، وأنا لا أسمح فى القياد لشدة ذلك الوابل وتتابع قطر ذلك الهاطل ، فصاح بهما : أقلاه فاحملاه على أعناقكما ،وسوقا به سوقاً رقيقاً أحسن مساقكما ، فلفا أعضادهما لفا ، ووصلا ذرعهما باعناقهما وصلا ، وامتطيت العاتق الكريم ، على عين الملك الزعيم ، امتطاء الامتنان ، لا امتطاء امتهان ، ومرا بى حتى انزلانى بين يدى السيدة ، واليها أمر كل قيمة ، فاستوت بى على سريرها ، وعلى البهاء فى ذلك البهو ، وذلك الحسور الى من قناع مفرقها اكليل من مهابة أميرها ، فلا انسى ذلك الزهو ، تطير بهن اجنحة الضائع ، فيالها من أسى وخلعوغرائب وبدع! وأمرتالسيدة بألف تحمل معى عن نفسها ،وثلاثة آلاف عن سيدها، فانصرفت بالغنى ، من ذلك الجنى ، ولم أصرف الى المنصور حتى صرف عند أبى ، وقد ظننت انه متجاف عنه لى ، او تارك منه معى ، وكانت لى فيه آمال من التوزيع على الخدمة والعمال من الصبيان وصبايا الجيران ، أمر ففرق منه على بطانته ، وأشار بحمل باقته الى خزانته ، فظللت واجما ، وطفقت راغما ، أطفىء من حجرتى فتذكو ، وأخفى من لوعتى فتبدو ، وبلغ ذلك المنصور، فوجه نحوى بخمسمائة دينار ، وأقسم على أبى بحياته الا يمنعنى منها ، وان يدعنى بحكمى فيها ،فبادرت بالركب والرجل وأخذت فى البذل والعطاء ، وحبوت بأجزل الحباء » .

ويروى لنا فى فصل آخر من تلك الرسالة التى خاطب بها المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبى عامر وتحدث فيها عن والده حينما استولى عليه الزهد فى الدنيا وآثر الاعراض عن طيبات الحياة ومظاهرها الخداعة « لما نكب عن طريق اهل الدنيا ، ورمى مرمى من مرامى اهل الأخرى ، من خزى ، فكانت أفدح نازلة نزلت بصبوتى ، وأقلق حادثة سلبت رونق بهجتى ، وأنا اذ ذاك فكسر همتى ، وحلق لمتى ، وسلبنى بزى ،وعرانى ابن ثمان ، قد هجنت فى مدارع الكتان ، ولقينى الوزير ابن مسلمة وقد عاد أبى اثر ابلال ، وعند نقوه من اعتلال ، فسألنى عن الحال ، وعما شغل البال ، فلم يكن جوابى غير النشيج والعجيج ، وشوى العويل والضجيج ، ولقى المظفر على حينه، وأدى اليه ما شاهد منى ، فوجه عنى ، فلما صرت بين يديه ، أمر بى فألبست ثياب الحرير، وضمخت بنفاح العبير ، وحملت على فرس بسرجه ولجامه ، ينهل من أعطافه ماء جمامه ، وأتبع ذلك بألف دينار فى طبق، كأنها عيون النرجس الصفر الحدق وعقد لى على الشرطة ، وكانت لسنى أرفع خطة ، فانصرفت وأنا انظر عطفى عن شوس ، وقد ضاق صدرى على أبى عن سعة نفس ،

والمظفر الذى تولى ابن شهيد بعطفه ، وأضفى عليه ظل رعايته ، وعقد له على الشرطة وهو فى هذه السن المبكرة هو ابن المنصور وخليفته فى الحجابة والسيطرة على الدولة ، وكان لهذا العطف السابغ ، والتدليل البالغ ، أثرهما فى نشأة ابن شهيد فقد جعلاه لا يطيق أى قيد من القيود ، ولا يقبل على الدرسة اقبال المضطر المسوق ، وانما يتخير ما يروقه ، ويلائم مزاجه ، ويرضى نزعاته، وكان مع ذلك لامع الذكاء ، موفور المواهب، وثاب الخيال ، قوى الذاكرة ، سريع البديهة ، يستطيع ان يحصل فى يسر وسهولة ما تكد غيره فيه أذهانهم ، وينضون غرائمهم ، ودفعه ميله الى الادب الى التوسع فى الاطلاع على الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام ، وبلغ من الثقافة الادبية

مبلغا استطاع به ان يطاول المتخصصين فى مختلف الدراســـات ، ويتفوق عليهم ، ويعرف مواطن ضعفهم ، وعلل تخلفهم ، وكان نبوغه مبكرا ، فقد استطاع وهو فى نحو الثانية عشرة من عمره أن يحمل الوزير الشاعر ابا مروان الجزيرى على أن يساجله التريض معترفا بفضله ، وكان أبو مروان من وزراء الدولة فى عهد المنصور ، وفى عهد ابنه وخليفته المظفر ، ثم غضب المظفر عليه ، وسجنه فى المطبق ، ومات فيه مخنوقا سنة ٣٩٤ هجرية ، ويقول ابن بسام انالوزير ابا مروان ابن الجزيرى كتب الى ابن شهيد يقول :

قل للوزير الذى بانت فضـــائله
وقام فينـــا مقـــام الغيث نائله
اذ بان فضل مســـاعيه وهمتـــه
بين لنا شرع معنى ســـال سائله
أواخر الورد اذ تجنيــه ملتقطا
أذكى وأعطر نشراً أم اوائله
وأى حاليــه موجودا ومفتقـــدا
أولى واجدر ان ترعى وســـائله

فأجابه ابن شهيد :

يا سيدا أرجت فينا شـــمائله
وشـاكهت شعره حسنا رسائله
وســـائلا لى عمـــا ليس يجهـله
ولا الذى كلف التفصيل جاهله
الورد عهدا ونشرا صنو عهدك لا
تنسى أواخـره طيـــا أوائله
ووصـله فى كلا الحـالين مفترض
سيان قاطعـه جهـلا وواصله

وكان ابن شهيد بطبيعته رجلا أبيقورى المزاج، لا ينفك ينشـد المتعة ، واشباع رغبـاته الحسـية والمعنوية ، ويسرت له ذلك الى حـد كبير أوقات فراغه ، وكثرة اتصالاته برجال عصره الواسـعى الثراء وأبنـاء البيـوتات ، وكان عصره شـديد الاضطراب من الناحية السـياسية كثير التقلبـات والانقـلابات ، وربمـا يكون فى هذا الاضطراب الشامل الذى لا يبعث على الطمأنينة ، ويثير القلق، يستوجب الاسراف فى الاقبال على طلب المتعة ، والانغماس فى اللهو والمجـون ، طلبـا للتسلى ، والذهول عن الحـاضر المؤلم الممتلىء بالأحـداث المروعة ، والخطوب الجسام ، والنكبات الفادحة ، ولعله كان يشير الى ذلك حينما قال فى احـدى قصائده :

وهل كنت فى العشـاق أول عاقل
هوت بحجـاه أعين وخـدود
وان طال ذكرى بالمجـون فانهـا
عظائم لم يصـبر لهن جليـد

وقد نشأ وترعرع فى عهد سيطرة المنصور ابن ابى عامر الذى توفى سنة ٣٩٢ هجرية ، وخلفه ابنه المظفر وكانت ولايته سبع سـنوات ، وتوفى المظفر سنة ٣٩٩ هجـرية ، وقد بلغ ابن شـهيد رتبة الوزارة فى الدولة العامرية الا انه لم يصل الى منـزلة الكتــابة فى الديوان ليلقب بالوزير الكاتب برغم شدة حرصه على نيل هذا الشرف ، وهو يحدثنا ان ثقل سـمعه هو الذى قعد به عن نيل تلك الرتبة ، كما عـاق الجاحظ عن بلوغها افراط جحوظ عينيه .

واستولى على مقاليد الامور بعد المظفر أخـوه عبد الرحمن الملقب بالناصر ، وسار على خطة أبيه وأخيه فى الحجـر على الخليفـة هشـام بن الحكم

الذى لم يكن له من الامر شىء ، وطمع عبدالرحمن فى الخلافة بعد شهر من ولايته فطلب من هشام ان يوليه عهده ، ولم يكن فى وسع هشام ان يرد هذا الطلب ، واغضب ذلك الامويين وأسخطهم على هشام الذى أخرج الامانه منهم ، فخلعوه وسجنوه ، وبايعوا محمد بن هشام بن عبدالجبار ابن الناصر الذى لقب بالمهدى ، وكان المهدى ناقما على العامريين لقتلهم اباه هشام فى دولة المظفر لاشتراكه فى مؤامرة مع الوزير عيسى بن سعيد القطاع ، وكان الناصر بن ابى عامر فى طليطلة ، فلما بلغه الخبر قفل راجعا الى قرطبه ، ولكنه لم يجرؤ على دخولها فقد خذله جيشه ، وتخلى عنه ، وقبض عليه واجتز رأسه ، وزالت بموته الدولة العامرية سنة ٣٩٩هجرية، ولم يكن المهدى محمد بن هشام ممن يصلحون لتولى اعباء الدولة فى تلك الأحوال المضطربة ، والازمات المتلاحقة، وكانَ كثير المخالطة للزعانف والأشرار، وقد بعث حينما ولى الخلافة الى هشام المؤيد ، وعاتبه على ايثاره للعامريين ، ودعاه الى خلع نفسه منذرا مهددا ، وخلع هشام نفسه ، وكان ذلك فى صبيحة يوم الاربعاء ١٧ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هجرية، ولم يستقر ملك محمد بن هشام لانه تنكر للبربر ، وكان يعدهم من أنصار العامريين ، فسعوا فى خلعه ، وبايعوا سليمان بن الحكم بن سليمان ابن عبدالرحمن الناصر وتسمى بالمستعين، واشتد النزاع بين الاميرين الأمويين على تولى الخلافة ، واستطاع المستعين بمناصرة البربر ان يدخل قرطبة فى ختام المائة الرابعة للهجرة ، وهرب محمد المهدى الى طليطلة مستنصرا الاسبانيين ، ولما أمدوه بالجند عاد الى مهاجمة قرطبة ، وامتلكها وهزم المستعين ومناصريه من البربر ، وخشى أهل قرطبة هجوم البربر ، فأخرجوا هشام بن الحكم من السجن ، وجددوا له البيعة ، وقتلوا المهدى تخلصا من الفتنة التى أشعل نيرانها، ولكن المستعين واصل حصار قرطبة مع البربر حتى استطاع اقتحامها عنوة سنة ٤٠٣، وقتل هشاما وتولى مكانه، وتختلف هنا الروايات، فيقول البعض ان سليمان اخفى هشاما حينا من الزمن ثم قتله ، والبعض يقول انه فر من محبسه وقصد المرية ، ومصير هذا الخليفة البائس من مسائل التاريخ الغامضة ، وتلقب سليمان بالظافر مضافا الى لقب المستعين ، وقضى فى الحكم ثلاثة أعوام كانت خلالها الفوضى ضارية بجيرانها فى قرطبة وسائر أنحاء البلاد ، وكان سليمان أديبا وشاعرا ، وكان من ضمن أنصار سليمان من البربر رجلان من ولد على بن ابى طالب وهما القاسم وعلى ابنا حمود ، ويرجع نسبهما الى ادريس العلوى الذى الجأه اضطهاد العباسيين فى المشرق الى الفرار الى المغرب ، وقد ندب سليمان عليا لحكم سبتة ، واختار قاسم لحكم الجزيرة الخضراء وطنجة واصيلا ، وذلك فى أوائل سنة ٤٠٤ ، وطمع على بن حمود فى الخلافة ودعا البربر الى مبايعته ، فأجابوه لما للأدارسة من مكانة فى نفوسهم ، واستطاع الاستيلاء على قرطبة سنة ٤٠٧ ، وقتل سليمان المستعين، وقتل معه أباه الحكم بن سليمان واخاه عبدالرحمن ، وادعى ان هشاما المؤيد عهد اليه بالامامة ، وبايع لنفسه ، وتلقب بالناصر لدين الله ، ولم يرض ذلك خيران الصقلى صاحب المرية ، والمنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطه ، فبايعا عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله عبدالرحمن الناصر ، ولقب بالمرتضى، وكان ذلك رغبة منهما فى رد الخلافة الى الامويين،

ويعرف عبد الرحمن هذا بعبد الرحمن الرابع ، وبرغم ذلك بقى على بن حمود صاحب الأمر فى قرطبة حتى قتله صقالبة فى الحمام سنة ٤٠٨هجرية وقام بعده أخوه القاسم ، وتلقب بالمأمون ، فواجه هذا الموقف خيران والمنذر بان جمعوا الناس وفيهم رجال الدين فوافقوا على بيعة المرتضى ، ونصبوه خليفة بشر فى الاندلس ، ولكن المرتضى اخفق فى محاولته ، وقتل فى سنة ٤٠٩ ، وظل القاسم على عرش الخلافة الاندلسية مدة اربع سنوات نازعه بعدها يحيى ابن اخيه واستولى على قرطبة سنة ٤١٢ وتلقب بالمعتلى ، وكان المعتلى فارسا بارعا يتحلى بجلال الفروسية وبجانب العصبية ، ويؤثر العدل ، ويجزل العطاء لمن وفد عليه ، أو مدحه بشعر ، فأحبه الناس ، وكان من وزرائه ابو العباس احمد بن برد احد كتاب الاندلس وأدبائها البارزين ، ولكنه وقع مثل عمه تحت نفوذ البربر ، وكان القاسم قد فر الى اشبيلية ، واستجاش البربر ، وعاد الى قرطبة سنة ٤١٣ واستولى عليها ، وهرب المعتلى الى مالطة ، وثار أهل قرطبة على المأمور وأصحابه البربر لاستبدادهم بالحكم سنة ٤١٤ وارغموه على ترك قرطبة ، وتم عقد البيعة لعبد الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار ، وهو عبد الرحمن الخامس وتلقب بالمستظهر ، وكان فى الثالثة والعشرين من عمره ، وكان من وزرائه أبو عامر بن شهيد وابو محمد ابن حزم وابن عمه عبد الوهاب بن حزم ، وكان لهذا الخليفة الشاب من الصفات ما هو جدير بان يجعله معقد الامال ، ولكن الظروف لم تسعفه ، ولم تتح له الفرصة لاظهار مواهبه ، ووقع فى خطأ سياسى أثار عليه ثائرة الخاصة والعامة ، وذلك انه استقبل عدة من فرسان البربر ، واكرم وفادتهم ، وأنزلهم بالقصر ، فهاجت العامة ، وهاجموا القصر ، وقتلوا البربر ، واختبأ عبد الرحمن المستظهر فى أتون الحمام ، وأحضر الى القصر ابن عمه محمد ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن الناصر ، وبويع بالخلافة سنة ٤١٤ ولقب بالمستكفى ، ولما عثر بالمستظهر أخذ الى حضرة الخليفة الجديد ، واعدم امامه ، وكانت امارته منذ ولى حتى قتل سبعة وأربعين يوما ، ويقول عنه ابن حيان « كان على حداثة سنه ذكيا يقظا لبيبا أديبا حسن الكلام جيد القريحة مليح البلاغة يتصرف فيما شاء من الخطابة بديهة وروية ، ويصوغ قطعا من الشعر مستجادة ... وكان فى وقته نسيج وحده ، ختم به فضلاء أهل بيته الناصريين ، فلم يأت بعده مثله » ، أما المستكفى الذى خلفه فى الحكم وهو فى الثامنة والخمسين من عمره فكان عاطلا من الخلال الحميدة ، نزاعا الى اللهو والبطالة ، عاكفا على الشراب والمجون ، فائل الرأى ، وقد أساء معاملة اكثر الرجال البارزين من الساسة القدماء ، والمفكرين ، واضطر كثيرون منهم الى مغادرة قرطبة ، ولجأوا الى بلاط يحيى بن حمود بمالطة ، وكان من هؤلاء أبو عامر بن شهيد ، وسئم القرطبيون ولاية المستكفى ، ويقول عنه الحميدى « كان هذا المستكفى فى غاية التخلف ... وكان متغلبا عليه طول مدته » ولم يجد الوزراء والكبراء فى قرطبة مندوحة عن مطالبته بالتخلى عن الخلافة لعجزه وتهافته وسوء سلوكه ، واضطر الى مغادرة قرطبة فى سنة ٤١٦ وكره أحد مرافقيه التمادى معه فعمل على قتله بالسم كما يروى الحميدى ، وجدد القرطبيون البيعة ليحيى بن حمود فعاد الى قرطبة فى أوائل المحرم سنة ٤١٦ وبقى بها الى نهاية العام ، ثم غادرها فى أوائل المحرم سنة ٤١٧

قاصدا مالقة، ولكن القرطبيين ثاروا فجأة، وفتكوا بالحامية البربرية ، وذلك فى ربيع الاول من سنة ٤١٧ هجرية وأجمعوا على رد الأمر لبنى امية ، وكان عميدهم فى ذلك الوزير أبو الحزم جهور ابن محمد بن جهور ، وراسل جهور ومن معه اهل الثغور والمتغلبين هنالك على الامور، وداخلهم فى هذا ، فاتفقوا بعد مدة طويلة على تقديم أبى بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وهو اخو المرتضى عبد الرحمن ، وكان عند مقتل أخيه فى سنة ٤٥٩ قد فر من قرطبة ، ولجأ الى مدينة البونت مستظلا بحماية صاحبها أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن القاسم ، فبايعوه فى شهر ربيع الأول سنة ٤١٨ ، وتلقب بالمعتد بالله، وكان اسن من اخيه المرتضى بأربعة اعوام ، وبقى مترددا فى الثغور ثلاثة أعوام غير شهرين، ودارت فتن كثيرة ، واضطراب شديد بين الرؤساء الى أن اتفق أمرهم على أن يصير الى قرطبة قصبة الملك، وكان يخطب له بها فى خلال تلك الفترة ، وقد دخل قرطبة فى ذى الحجة سنة ٤٢٠ وجددت له البيعة ، وبقى فى كرسى الخلافة عامين آخرين ، واستبشر القرطبيون بقدومه فى أول الأمر، ولكنه ألقى الأمور الى رجل من الموالى يسمى حكم بن سعيد القزاز ، فاستأثر بكل السلطة ، وأطلق يده فى الأموال ، وكان أحمق مستبدا طاغية ، وجمع حوله طائفة من السفهاء العاطلين من المزايا، وساءت سمعة الخليفة ، وفقد عطف القرطبيين ، ورأى الشعب ضرورة ازالة هذه الحالة ، فخلع الخليفة المعتد ، وانقطعت الدعوة الأموية ، وابطل رسم الخلافة وطويت صحيفتها ، وأبعد بنو أمية من المدينة وانقطع ذكر الأمويين من منابر الاندلس والمغرب الأقصى الى الأبد ، وبدأ عهد ملوك الطوائف بعد قتل المعتلى فى سنة ٤٢٦ وهو يحارب القاضى محمد بن عباد الثائر باشبيلية ، وذهب بموته سلطة الدولة الحمودية العلوية عن قرطبة ، وقامت حكومة على رأسها ابو الحزم جهور بن محمد أحد ملوك الطوائف .

وقد امتدت حياة ابن شهيد من سنة ٣٨٢ الى سنة ٤٢٦ هجرية فصحب الدنيا خلال هذه الحوادث الجسام ، والخطوب المروعة ، وتقلب على عينه سقوط دولة العامريين ، وانهيار الخلافة الاموية ، وتدهور الخلافة الحمودية واستعانة الامراء والخلفاء المسلمين بعضهم على بعض باستدعاء الاسبانيين الذين كانوا يتقاضون ثمن هذه المساعدات بالاستيلاء على الحصون المنيعة، والاماكن الصالحة من الناحية الحربية الاستراتيجية ، وكانت هذه الأحوال السيئة تضطر ابن شهيد الى محاولة الانغماس فى السياسة والتقرب من الحاكمين ليحفظ رأسه ، ويستبقى مكانة اسرته ، ويسد مفاقره ، فقد كان الرجل مسرفا متلافا ، لا يليق مالا ، ولا يغل يده عن محتاج الى رفده ، وقد بدأ يعانى الشدائد والازمات بطبيعة الحال بعد وفاة الناصر سنة ٣٩٩ ، ورسائله الى عبدالعزيز المؤتمن ابن الناصر التى حفظ لنا ابن بسام اجزاء منها فى الذخيرة تدل من ناحية على شدة ولائه للعامريين ومن ناحية اخرى على انه كان على الدوام يؤثر البقاء فى قرطبة ، وقد التمس فى هذه الرسائل من المؤتمن ان يرد اليه ضيعة كان وزير والده قد وعده بها فحالت الاضطرابات التى حدثت دون انجاز هذا الوعد ، وهو يقول ان فى إحدى هذه الرسائل « ومملوكك عاكف على الوطن عكوف الراهب على الوثن، ولم يبق من النعمة غير مصاصة بلة قد آن لها ان ترتشف ، وتفاهة ثمرة قد حان

لهـا ان تخترف ، وعـرج لمآله ، والنظر لعاقبـة حاله ، على استخراج ما يمـكن من الوصول الى نعمتكم ليصون بها جمه وجنته ، ويغير عليها نطفة صفحته ، اذ لا سـبيل الى التصريح على غير ذلك قطعا ، ولا الى الانتباس بسواه حتما ، ولو لحسن التراب ، وذاب فى الثياب ، فانه يتنفس عن نفس همتها الكواكب ، وهمها الغيـاهب ، فلولا همتها لأظلم الدهر ، ولولا همها لأسفر الأمر ، وهذا موضع الحدس لا امتراء وخليقة النفس لا ادعاء ، ووعد الوزير عباس بصرف ضيعة لى بجهة تدمير ، حالت الفتن دونهـا ، واضطراب الاحـواب عن مطالعتها ، وانا اسأل فضلك سؤال المدل فى استنجاز ما وعد ، فانه يعتاض من شـكرى له ، وثنـائى عليه ، وصدعى فى المحافل بفضله ، أجل فائدة يصطفيها ، وأكرم نفيسـة يقتنيها » وقد نظم فى هذه المناسبة قصيدته العصماء التى تدل على صدق شاعريته وعمق احساسه بجمـال الطبيعـة برغم ما فيها من اتباع أساليب القدماء والسير فى منهجهم ومطلعها :

أما الرياح بجـو عاصم
فحلبن اخـلاف الغمـائم

ويشير فيها الى الفتنة التى عمت البلاد ليتخلص الى مدح المؤتمن :

من فتنـة قد أسبلت
ظلمـاتها بيـد المظـالم
عمهت لهـا أحلامنـا
وكأنهـا أضـغاث حـالم
وتحـولت فيهـا الـذنا
بى الرأس وابن المجد راغم
فكأننـا عمى نسـاق
على العمى فى ظـل عـاتم
حتى انتضى عبد العزيز
عزيمة من صـدر عازم
فبدت لنـا سـبل الهـدى
بنواجم غـير الهـواجم
من عامر اهـل المصـا
نع والصـنائع والكرائم

وفى احدى هذه الرسائل يصف شـدة تعلقـه بالبقاء فى قرطبة بقوله « والذى أشكو منه أغرب الغرائب وأعجب العجائب ، بث شـاغل ، وبرح قـاتل ، وصـبر بغيض ، ودمع يفيض ، لعجوز بخراء ، سهكة درداءة ، تدعى قرطبة ... طاب لى الموت على هواها ، ولذ عندى سقى دمى لثراها »

وفى احدى هذه الرسالة يشير الى الحالة الثقافية فى عصره ، واثر الاضطراب السياسى فى افسادها ، فيقـول عن بعض معـاصرية « حظهم من الفهـم الحفظ ، ومن العلم الذكر ، وهذا حظ القصاص ، واعلى منازل النواح ، فترى المحـزق منهم اذا قرىء عليه الشعر يزوى أنفـه ، ويكسر طرفه ، واذا عرضت عليه الخطبـة يميل شـقه ، ويلوى شدقه ، فان تناولهما لم يبق ملحة الا حشدها ، ولا أبقى عفصة الا جلبها ، وأصل قلة هذا الشأن ، وعدم البيان ، فساد الازمنة ، ونبو الامكنة ، وان الفتنة نسخ للأشياء ، من العلوم والاهواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ، خاسر الصـفقة ، يلمح بعين الشـنآن ، ويسـتثقل بكل مكان ، هذا دأبنا وحربنا انا طلبنا البيان ، فادركناه بكل لسـان ، والتمسنا الابداع فأثبتنا كل معجب ، وأتينا على كل مطرب . فما سقطنا على سوقة يهش الينا ولا دفعنا الى ملك يصبو بنا ، وليت اذ لم يكن غنم الا يكون غرم » .

وليس فى اخبار ابن شهيد ما يدل على اتصاله

بمحمد المهدى الذى ولى الامر بعد مصرع الناصره وربما كانت علاقته السابقة بالعامريين قد حالت دون ذلك، وقد مدح المستعين الذى تقلد الخلافة بعد مقتل المهدى واختفاء هشام المؤيد بقصيدة مطلعها :

بكى أسفا للبين يوم التفرق
وقد هون التوديع بعض الذى لقى

ومنها فى مدح المستعين :

لعل نسيم الريح تأبى به الصبا
ينشر الخزامى والكباء المعبق
كأن عليها نفحة عبشمية
أتت من جناب المستعين الموفق
فنلت الذى قد نلت اذ ليس للعلا
سواك كأن الدهر للناس منتقى

وقد أشار فى رسالة التوابع والزوابع الى خصومه وحساده الذين حاولوا ان ينالوا منه عند المستعين ، فانشده قصيدته التى يقول فيها :

وبلغت اقواما تجيش صدورهم
على وانى منهم فارغ الصدر
اصخوا الى قولى فاسمعت معجزا
وغاصوا على سرى فاعياهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره
وقال فريق أيمن الله لا ندرى
اما علموا أنى الى العلم طامح
وأنى الذى سبقا على عرقه يجرى
فمن شاء فليخبر فانى حاضر
ولا شىء أجلى للشكوك من الخبر

ولم يكن ابن شهيد حسن الحظ مع الحموديين فى ابان دولتهم ، وقد أشار الى ذلك الفتح فى المطمح قائلا : « ودبت اليه أيام العلويين عقارب ، برئت بها منه أباعد وأقارب ، واجهه بها صرف قطوب ، وانبرت اليه منه خطوب ، نبا لها جنبه عن المضجع ، وبقى بها ليالى يأرق ولا يهجع ، الى ان علقته من الاعتقال حاله وعقلته فى عقال أذهب ماله ، وأقام مرتهنا ، ولقى وهنا ، وقد نظم فى ذلك قصيدة مطلعها :

قريب بمحتل الهوان بعيد
يجود ويشكو حزنه فيجيد
نعى ضره عند الامام فياله
عدوا لابناء الكرام حسود

ومنها فى وصف ما كان يعانيه فى السجن :

فراق وسجن واشتياق وذلة
وجبار حفاظ على عتيد
فمن مبلغ الفتيان أنى بعدهم
مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الأذى
قيام على جمر الحمام قعود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى
على القصر الفا والدموع تجود
الا أيها الباكى على من تحبه
كلانا معنى بالخلاء فريد

وغير واضح فى المراجع الأدبية والتاريخية المأثورة عن حياة ابن شهيد وأدبه هل كان هذا السجن فى عهد على بن حمود أو فى عهد أخيه القاسم ، ومهما يكن من الامر فان علاقته كانت حسنة بيحيى بن على المعتلى ، وقد مدحه ببعض قصائده ، ولما استرد عمه القاسم منه قرطبة سنة ٤١٣ واضطر المعتلى الى الفرار الى مالقة ، ازمع ابن شهيد الخروج من قرطبة الى مالقة لاحقا به ، ونظم قصيدة يصف بها الحالة التى استوجبت هذا

الخروج من مألف صباه ، ومغاني صبوته :

أرى أعينا ترنو الى كأنما
تساور منها جانبي أراقم
أدور فلا اغنام غير محارب
واسعى فلا ألقى امرأ لى يسالم
ويجلب لى فهمى ضروبا من الأذى
واشقى امرىء فى قرية الجهل عالم
وأوجع مظلوم لقلب وذى حجى
فتى عربى تزدريه أعاجم
سلام عليكم لا تحية شاكر
ولكن شجى تنسد منه الحلاقم
وما قرعت سنى عليكم ندامة
وأوشك غدا ان يقرع السن نادم
عليكم بدارى فاهدموها دعائما
ففى الارض بناءون لى ودعائم
لئن اخرجتنى عنكم شر عصبة
ففى الارض اخوان على أكارم

ولم تطل مفارقته لقرطبة لانه كان لا يطيق الابتعاد عنها ، وكان تعلقه بها شديداً .

ولم يلق ابن شهيد الاذى من الحكام فحسب ، فقد كان له خصوم وأعداء ينفسون عليه أدبه ، ويحسدونه لمكانته ، وجاهه وثروته ، وكان فرط اعتزازه بنفسه، ومقالاته بقدرته الشعرية ومواهبه الادبية ، واسرافه فى طلب المتعة ، وميله الى المجون ، واستخفافه بتقاليد المجتمع ومواصفات العرف ، مما تلهب الاحقاد عليه ، وتمكن الناقمين عليه من النيل منه ، وبسط السنتهم فيه ، وكان هو من ناحيته يكيل لهم الصاع صاعين ، ويرد ضرباتهم بضربات أشد وأمضى ، واذا رجعنا الى رسالة التوابع والزوابع وهى وان لم توجد حتى اليوم مخطوطة كاملة منها ـ كافية فى الدلالة على ما كان يعانيه من تحامل خصومه عليه ، ومحاولة التشكيك فى أدبه والطعن فى أصالته وقدرته ، ومن اليسير أن نتبين الانسان من فحواها ان المقصود بها الرد على هجوم منتقصى أدبه، والساعين فى هدم بنيانه ، والحط من شأنه ، فقد ملأها بالسخرية بهم ، وتسفيه أرائهم ، ولكن اذا كان ابن شهيد قد لقى العنت من خصومة اعدائه ومنافسيه فقد نعم بصداقة طائفة من نخبة رجال الاندلس ، وجلة علمائه وأدبائه ، وفى طليعتهم الأديب العالم والفقيه المتمكن ابو محمد بن حزم وابن عمه المغيرة ابن حزم ، والقاضى ابن ذكوان ، وقد رثاه ابن شهيد بقصيدة نقلها الفتح فى المطمح وقال فى تقديمه لها عن ابن ذكوان وعلاقته بابن شهيد « كان لأبى عامر قسيم نفسه ونسيم أنسه » وقال الفتح فى العلاقة بين ابن شهيد والمغيرة بن حزم « كان هو وابو عامر بن شهيد خليلى صفاء ، وحليفى وفاء ، لا ينفصلان فى رواح ولا مقيل ، ولا يفترقان كمالك وعقيل ، فكانا فى قرطبة رافعى الوية الصبوة ، وعامرى اندية السلوة ، الى ان اخذ ابو عامر فى صالة الردى وعلق ، وغدا رهنه فيما قد غلق ، فانفرد ابو المغيرة بذلك الميدان » .

ولم يكن ابن شهيد حينما دب فى جسمه السقم ، وانهكه المرض ، قد بلغ السن التى تخف فيها وطأة الشهوات، وتهدأ حدة المطامع والرغبات، وأرجح انه كان لاسرافه على نفسه ومطاوعته لاهوائه وانطلاقه فى جمحاته اثر فى هذا الاعتلال المبكر ، ويصف لنا ابن بسام حاله فى أواخر ايامه قائلا « ولما طال بأبى عامر ألمه ، وتزايد سقمه ، وغلب عليه الفالج الذى عرض له فى

مستهل ذى القعدة من سنة خمس وعشرين واربعمائة ، لم يعدمه حركة ولا تقلبا ، وكان يمشى الى حاجته على عصامرة ، واعتماد على انسان مرة، الى قبيل وفاته بعشرين يوما ، فانه صار حجرا لا يبرح ولا يتقلب ، ولا يحتمل ان يحرك لعظيم الأوجاع مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبر ، حتى هم بقتل نفسه » ، ومن شعره فى مرضه قوله :

أنوع على نفسى وأندب نبلها
اذا أنا فى الضراء أضمرت قتلها
رضيت قضاء الله فى كل حالة
على وأحكاما تيقنت عدلها
أظل قعيد الدار تجنبنى العصا
على ضعف ساق أوهن السقم رجلها

ولما اشتدت به العلة وأحس اقتراب منيته كتب الى صديقه أبى محمد على بن حزم :

ولما رأيت العيش ولى برأسه
وأيقنت ان الموت لا شك لاحقى
تمنيت أنى ساكن فى غيابة
بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
خليلى من ذاق المنية مرة
فقد ذقتها خمسين قولة صادق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى
يدا فى ملماتى وعند مضايقى
عليك سلام الله ، انى مفارق
وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبينى اذا ما فقدتنى
وتذكار أيامى وفضل خلائقى

ومن جواب ابن حزم له قوله :

ابا عامر ناديت خلا مصافيا
يفديك من دهم الخطوب الطوارق
وألفيت قلبا مخلصا لك ممحضا
بودك موصول العرى والعلائق
شدائد يحلوها الاله بلطفه
فلا تأس ان الدهر جسم المضايق
ورب أسير فى يد الدهر مطلق
ومنطلق والدهر أسوأ سائق

وشغله التفكير فيما احتقب من اثام فقال من ابيات :

وما انا الارهن ما قدمت يدى
اذا غادرونى بين أهل المقابر

وأوصى ان يكتب على قبره فى لوح رخام « بسم الله الرحمن الرحيم » قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ، هذا قبر احمد بن عبدالملك ابن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد ان لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، وان الجنة حق ، وان النار حق ، وان البعث حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من فى القبور ، مات فى شهر كذا من عام كذا ، ويكتب تحت هذا النثر هذا النظم وهنا ذكر مقطوعة من الشعر مطلعها :

يا صاحبى قم فقد أطلنا
أنحن طول المدى هجود

وتوفى ابن شهيد آخر يوم من ايام جمادى الاولى سنة ٤٢٦ ، ويقول ابن بسام « لم يشهد على قبر احد ما شهد على قبره من البكاء والعويل، وأنشد على قبره من المراثى جملة موفورة لطوائف كثيرة » .

تاريخ تاليف الرسالة :

ولم يعرف حتى اليوم – فى حدود اطلاعى – ديوان يجمع ما نظم ابن شهيد من شعر ، ولم يؤثر عنه كتاب يضم اشتات رسائله فى مختلف الموضوعات وشتى المناسبات ، والموجود من رسالته التوابع والزوابع هى الأجزاء التى أثبتها ابن بسام فى كتاب الذخيرة ، ولو لم يكن له سوى هذا الجزء من رسالة التوابع والزوابع الذى اختاره ابن بسام لكان فى رأيى كافيا للدلالة على أصالة شاعريته ، وقدرته الفنية ، وبراعة أدائه ، وقد قدم لنا فى هذه الرسالة صورة براقة واضحة لثقافة عصره ، كما رسم لنا الكثير من دخائل شخصية ، وخفايا نفسه ، وعلاقاته باعدائه وخصومه ، وأصدقائه ومريديه •

وليس فى اخبار ابن شهيد اشارة الى السنة التى انشأ فيها هذه الرسالة ، وقد ذكر المستشرق بروكلمان أنها صنفت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة ، والمعروف ان ابا العلاء أملى رسالته فى خلال عزلته سنة ٤٢٤ فاذا اعتمدنا على رأى بروكلمان تكون رسالة التوابع الزوابع كتبت سنة ٤٠٤ ، ومن المقطوع به ان رسالة التوابع والزوابع كتبت قبل رسالة الغفران ، وقد توفى ابن شهيد سنة ٤٢٦ اى بعد ظهور رسالة الغفران بعامين ، وكان فى تلك الفترة معتل الصحة ، وبرغم ان المرض لم يعطل شاعريته ولم ينل من قدرته البيانية وحضور ذهنه ولمعان ذكائه الا ان حالته بوجه عام لم تكن تسمح بكتابة مثل هذه الرسالة النابضة بالحيوية ، الحافلة بالتهكم والسخرية ، والعنف فى النيل من خصومه ، وكشف مواطن ضعفهم ، واظهار اعتزازه بنفسه ، وقد حرص ابن شهيد فى رسالته على اظهار ذخيرته اللغوية ، وما وعته ذاكرته من الاشعار والاخبار ، وما حصل من مختلف المعارف والمعلومات ، فهو يبدو فيها العالم اللغوى ، والمؤرخ الحجة ، والناقد الحصيف ، والشاعر الحاضر البديهة ، الذى يقر له اعلام الأدب بالسبق والامتياز •

وقد ذهب المرحوم الدكتور ضيف فى كتابه « بلاغة العرب فى الاندلس » الى ان ابن شهيد فى التوابع والزوابع كان يقلد أبا العلاء فى رسالة الغفران ، وكانت حجته فى ذلك ان شهرة أبى العلاء كانت ذائعة فى المشرق والمغرب ، وان أهل الاندلس كانوا يقلدون المشرق فى كل شىء ، ورجح المرحوم الدكتور زكى مبارك ان ابا العلاء هو الذى حاكى ابن شهيد فى رسالته ، وحجته ان رسالة ابن شهيد كتبت قبل الغفران بنحو عشرين سنة حسب رأى بروكلمان •

وفى رسالة التوابع والزوابع اشارة الى انه كتب هذه الرسالة حينما ودع نضارة الشباب وهى سؤال الاوزة له « ما أبقت الأيام منك » ولكن بها نصا آخر حمل بعض الباحثين على الاعتقاد بانه كتبها وهو شاب ، فقد حدثنا ان الجن قالوا له : « قد بلغنا انك لا تجارى فى أبناء جنسك، ولا يمل من الطعن عليك ، والاعتراض لك ، فمن أشدهم عليك ؟ ، أجاب : جاران ••• وثالث نابته نوب فامتطى ظهر النوى، وألقت به فى سرقسطة العصاء انتضى على لسانه عند المستعين ، وساعدته زرافة من الحاسدين » والمستعين سليمان بن الحكم بويع سنة ٤٠٠ هجرية وجدددت له البيعة سنة ٤٠٣، وقتل عام ٤٠٧ هجرية ، ومن هنا استخلص الدكتور زكى مبارك ان ابن شهيد كتب رسالته قبل الغفران بما يقرب من العشرين سنة •

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها عن الغفران « ونحن فى الواقع لا ننكر ان فى الرسالة ما يدل على انه كتبها فى شبابه ، ومن هذا ما هو اصرح مما تعلق به الدكتور زكى كقول « حارثة ابن المغلس صاحب أبى الطيب ان امتد به طلق العمر فلا بد ان ينفث بدرر » ولكن هذا لا يبيح لنا بحال ان نرجع بهذا الشباب الى بعيد العشرين لان فى الرسالة نفسها ما يدل على انه كتبها بعد أن قطع شوطا غير قليل فى نضاله الأدبى والمادى فى الحياة ، ثم يبقى بعد ذلك ان ابن شهيد مات وعمره اربعة واربعون عاما فحسب ، اى قبل ان تدركه الشيخوخة الواهنة ، فحديثه عن الشباب يمكن ان يمتد الى قريب من عهد الغفران » .

وفى الرسالة ما يدل على انها كتبت بعد عهد المستعين ، فقصيدته التى نظمها فى السجن والتى مطلعها :

« قريب بمحتل الهوان بعيد » ، قد نظمت اما فى عهد على بن حمود واما فى عهد القاسم ابن حمود وخلافة على ابن حمود من سنة ٤٠٧ الى سنة ٤٠٨ وخلافة القاسم ابن حمود امتدت الى سنة ٤١٢ حينما جاء المعتلى يحيى بن على ينازع عمه الملك ، وفى الرسالة رثاؤه لأبى عبيدة حسان ابن مالك ، وقد استوزره المستظهر عبد الرحمن الخامس سنة ٤١٤ هجرية كما ذكر الفتح فى المطمح ، ويقول الحميدى فى جذوة المقتبس مات ابو عبدة اللغوى عن سن عالية قبل العشرين وثلثمائة (وهو خطأ وصحتها واربعمائة) .

ومطلع القصيدة التى نظمها ابن شهيد فى رثائه :

أفى كل عام مصرع لعظيم
أصاب المنايا حادثى وقديمى

ويمكن ان يستخلص من ذلك ان رسالة التوابع والزوابع كتبت بعد سنة ٤١٤ هجرية ، وقد لحظ الاستاذ بطرس البستانى فى الدراسة القيمة التى قدم لها لطبعته وتحقيقه تلك الرسالة قول ابن شهيد فى مدح صديقه ابى محمد حزم فى الرسالة واطراء شافعياته بقوله عنه :

فسل من التأويل فيها مهندا
أخو شافعيات كريم العناصر

ورأى ان مدح ابن شهيد له بشافعياته ينبغى ان يكون خلال تلك السنوات ، لان ابن حزم عدل بعد ذلك عن المذهب الشافعى بعد شدة دفاعه عنه ، وقال : « اننا نراه فى شاطبة سنة ٤١٨ يصنف كتاب طوق الحمامة ، وكتاب الفصل فى الملل والنحل ، ويتبع مذهب الظاهرية ، أخذا برأى داود بن على واتباعه منحرفا عن غيره من المذاهب » .

وواضح من ذلك ان التوقيت الذى حدده المستشرق بروكلمان لكتابة الرسالة ليس صحيحا، وان التقدير السليم يقتضيان ان نستخلص ان الرسالة كتبت بعد سنة ٤١٤ ، وان ابا عامر حينما كتبها كان قد جاوز الثلاثين ، وقد نضجت شخصيته ، واكتمل ادبه ، واستعاضت تجاربه ، فأشبع اهل عصره سخرية وتنقصا ، وجعل الاوزة الحمقاء تابعة لشيخ من شيوخ النحاة ، وقرل لبغله أبى عيسى « من اخوانك من بلغ الامارة وانتهى الى الوزارة » .

موضوع الرسالة :

ويقول الاستاذ بطرس البستاني فى بيانالهدف الذى كتبت من أجله الرسالة « عرفنا ان ابا عامر كان كثير الخصوم والحساد ، ولقى منهم عنتا ، وحينما لم يصبر له ، فانبرى يواقعهم ويناضلهم ، وينتقص ادبهم ، ويبسط اراءه فى المنظوم والمنثور ، والضن والجمال ، فرسالة الزوابع والتوابع لا تعدو هذا الغرض الذى يرمى اليه ، وهو الطعن على أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء وأهل السياسة والقلم ، ثم المنافحة عن أدبه بالرد على غمزات نقاده ثم اظهار محاسنه فى المتقدمين والمتأخرين ، فقد عرض لمغتابين عند المستعين ، مندداً بضعفهم وعجزهم عن لحاقه ، وألح بالازراء على ابى القاسم الافليلى فنفس عليه بعلمه ومعرفته ، ودعاه الى مبارزته بالوصف شعرا ونثرا وسخر بأدباء بلده ، ونسب الغباوة الى أهل زمانه » .

وقد اختار ابن شهيد لرسالته اسم « التوابع والزوابع » لانه جعل مسرحها عالم الجن ، وجعل أبطالها جميعهم من الشياطين وليس بينهم من الأنس سواه ، والتوابع جمع تابع أو تابعة وهو الجن أو الجنية ، يصحبان الانسان ويتبعانه اينما ذهب ، والزوابع جمع زوبعة ، ويطلق على الشيطان أو رئيس الجن .

والرسالة قائمة على هذه الرحلة الخيالية الىعالم الجن ، واتصال ابن شهيد خلالها بشياطين الشعراء ، ومنافستهم ومناشدتهم الشعر ، ومبادلتهم النقاش فى الأدب والنقد والموازنة بين الشعراء والكتاب .

وقد استهل ابن شهيد رسالته بقوله مخاطبا (١) لأبى بكر بن حزم « لله أبا بكر ظن رميته فأصميت ، وحدس أملته فما أشويت ، أبديت به وجه الجلية ، وكشفت عنغرة الحقيقة ، حين لمحت صاحبك الذى تكسبته ، ورأيته قد أخذ بأطراف السماء ، فألف بين قمريا ، ونظم فرقه بها ، فكلما رأى ثغرا سده بسهاها ، أو لمح خرقا رمه بزباناها الى غير ذلك ، فقلت ، كيف أوتى الحكم صبيا ، وهز بجذع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا ،

---

(١) يقول الدكتور أحمد هيكل فى كتابه عن الادب الاندلسى « ان ابن شهيد وجه رسالته تلك الى من كناه بأبى بكر ، وقد فسر ابن بسام أبابكر هذا بأن أبو بكر بن حزم .. والمعروف ان ابا بكر بن حزم قد مات صغيرا ، وقبل ان يؤلف ابن شهيد رسالته بزمن طويل ، وقد مات فى الطاعون الذى اجتاح قرطبة سنة ٤٠١ هـ كما ذكر أخوه أبو محمد بن حزم فى كتابه طوق الحمامة . على ان صلة ابن شهيد ببنى حزم كانت بينه وبين أبى محمد وأبى المغيره ولم نعرف له صلة بأبى بكر هذا ، فأغلب الظن ان الامر التبس على ابن بسام حين رأى الرسالة موجهة لأبى بكر وحين علم ان ابن شهيد كانت له صلة ببنى حزم ، وحين علم أيضا ان من بنى حزم من كان اسمه أبا بكر ، وغاب عن صاحب الذخيرة ان ابا بكر هذا قد مات قبل تاليف الرسالة بزمن طويل والذى أرجحه ان ابا بكر الذى وجه اليه ابن شهيد رسالته هو ابو بكر الكاتب المعروف بأشكمياط ، وذلك لان هذا الكاتب بعينه قد نقد أبا عامر وعابه بانه يستبيح كنوز غيره ،، وقد ذكر ابن حزم فى طوق الحمامة ان اخاه ابا بكر مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فى ذى القعدة سنة ٤٠١ ،، ويستخلص من ذلك ان ابا بكر بن حزم كان يكبر ابن شهيد حينما أدركته الوفاة بقرابة عامين وربما كان ابن شهيد يقصد ان هذا اللقاء كان فى عالم الجن لا عالم الحياة الحاضرة .

أما ان به شيطانا يهديه ، وشيصبانا يأتيه ! وأقسم أن له تابعة تنجده ، وزابعة تؤيده ، ليس هذا فى قدرة الانس ، ولا هذا النفس لهذه النفس ، فأما وقد قلتها أبا بكر فاصخ أسمعك العجب العجاب.

كنت أيام كتاب الهجاء ، أحن الى الأدباء ، وأصبو الى الأدباء ، وأصبوا الى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الاساتيذ ، فنبض لى عرق الفهم ، ودر لى شريان العلم ، بمواد روحانية ، وقليل الالتماح من النظر يزيدنى ، ويسير المطالعة من الكتب يفيدنى ، اذ صادف شن العلم طبقة ، ولم أكن كالثلج نقتبس منه نارا ، ولا كالحمار يحمل اسفارا ، فطعنت ثغرة البيان دراكا ، وأعلقت رجل طيره أشراكا ، فانثالت الى العجائب ، وانهالت على الرغائب ، وكان لى فى أوائل صبوتى هوى اشتد به كلفى ، ثم لحقنى بعد ملل فى أثناء ذلك الميل ، فاتفق ان مات من كنت أهواه مدة ذلك الملل ، وأخذت فى رثائه يوما فى الحائر ، وقد ابهمت على ابوابه ، وانفردت فقلت :

تولى الحمام بظبى الخدور
وفاز الردى بالغزال الغرير

الى ان انتهيت الى الاعتذار من الملل الذى كان ، فقلت :

وكنت مللتك لا عن قلى
ولا عن فساد جرى فى ضميرى

فارتج على القول وأفحمت ، فاذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس أدهم كما بقل وجهه ، قد اتكأ على رمحه ، وصاح بى : أعجزا يا فتى الانس ؟ قلت : لا أبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأن الانسان ! قال لى ! قل بعده :

كمثل ملال الفتى للنعيم
اذا دام فيه وحال السرور

فأثبت اجازته ، وقلت له : بأبى أنت ! من أنت ؟ قال : أنا زهير بن نمير ، من اشجع الجن ، فقلت : وما الذى حداك الى التصور لى ؟ فقال : هوى فيك ، ورغبة فى اصطفائك ! قلت : اهلا لك ايها الوجه الوضاح ، صادفت قلبا اليك مقلوبا، وهوى نحوك مجنوبا ، وتحادثنا حينا ، ثم قال : متى شئت استحضارى فانشد هذه الأبيات :

والى زهير الحب يا عز انه
اذا ذكرته الذاكرات أتاها
اذا جرت الأفواه يوما بذكرها
يخيل لى أنى أقبل فاها
فاغشى ديار الذاكرين وان نأت
أجارع من دارى هوى لهواها

وأوثب الادهم جدار الحائط ، ثم غاب عنى ، وكنت أبا بكر حتى ارتج على ، أو انقطع بى مسلك ، أو خاننى أسلوب أنشد الابيات فيمثل لى صاحبى ، فأسير الى ما أرغب ، وأدرك بقريحتى ما أطلب ، وتأكدت صحبتنا ، وجرت قصص لولا ان يطول الكتاب لذكرت أكثرها ، لكنى ذاكر بعضها » .

وسأل أبو عامر صاحبه أن يريه أرض التوابع والزوابع ، وينزله وادى الارواح ، ونترك ابن شهيد يروى لنا قصته : « تذاكرت يوما مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء ، وما كان يألفهم من التوابع والزوابع ، وقلت : هل حيلته فى لقاء من اتفق منهم ؟ قال حتى استأذن شيخنا ، وطار عنى ، ثم انصرف كلمح البصر ، وقد أذن له ، فقال : حل على متن الجواد ، فصرنا اليه ، وسار

بنا كالطائر يجتاب الجو فالجو ، ويقطع الدو فالدو ، حتى التمحت أرضا كارضنا ، وشارفت جوا لا كجونا ، متفرع الشجر ، عطر الزهر ، فقال لى : حللت أرض الجن أبا عامر ، فبمن نريد أن نبدأ ؟ قلت : الخطباء أولى بالتقديم ، لكنى الى الشعراء أشوق ، قال : فمن تريد منهم ؟ قلت : صاحب امرىء القيس ، فأمال العنان الى وادمن الأودية ذو دوح تتكسر أشجاره ، وتترنم أطياره ، فصاح يا عتبة بن نوفل ، بسقط اللوى فحومل ، ويوم دارة جلجل ، الا ما عرضت علينا وجهك ، وأنشدتنا من شعرك ، وسمعت من الانسى ، وعرفتنا كيف اجارتك له ! فظهر لنا فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب فقال : حياك الله يا زهير ، وحيا صاحبك ! أهذا فتاهم ؟ قلت : هو هذا ، وأى جمرة يا عتيبة ! فقال لى أنشد ، فقلت : السيد أولى بالانشاد ، فتطامح طرفه ، واهتز عطفه ، وقبض عنان الشقراء ، وضربها بالسوط ، فسمت تحضر طولا وعرضا ، وكر فاستقبلنا بالصعدة هازا لها ، ثم ركزها وجعل ينشد :

سمالك [1] شوق بعد ما كان أقصرا

حتى اكملها ، ثم قال لى « انشد » ، فهممت بالحيصة [2] ، ثم اشتدت قوى نفسى وأنشدت :

شجته مغان من سليمى [3] وأدؤر .

حتى انتهيت الى قولى :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها
تزل بها ريح الصبا فتحدر

تكلفتها والليل قد جاش بحره
وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضنى ذو سفاسق [1]
وفى الكف من عسالة الخط أسمر
هما صاحباى من لدن كنت يافعا
مقبلان من جد الفتى حين يعثر
فذا جدول فى الغمد تسقى به المنى
وذا غصن فى الكف يجنى فيثمر

فلما انتهيت تأملنى عتيبة ثم قال : « اذهب فقد أجزناك » .

وسأله زهير من تريد بعد ؟ فقال له ابن شهيد « صاحب طرفة » .

ويسترسل ابن شهيد فى روايته فيقول : « فجزعنا [2] وادى عتيبة ، وركضنا حتى انتهينا الى غيضة ، شجرها شجران ، سام [3] يفوح بهارا ، وشجر [4] يعبق هنديا وغارا ، فرأينا عينا معينة تسيل ، ويدور ماؤها فلكيا ولا يحول ، فصاح به زهير : يا عنتر بن العجلان ، حل بك زهير وصاحبه ، فبجولة وما قطعت معها من ميلة ، الا ما عرضت وجهك لنا ! فبدا الينا راكب جميل الوجه ، قد توشح السيف ، واشتمل عليه كساء خز ، وبيده خطى ، فقال مرحبا بكما ، واستنشدنى فقلت « الزعيم أولى بالانشاد » ، فأنشد :

لسعدى بحزان الشريف طلول

حتى أكملها ، فانشدته من قصيدة

أمن رسم دار بالعقيق مخيل

(١) مطلع قصيدة معروفة لامرىء القيس قالها وهو ذاهب الى بلاد الروم .
(٢) الحيصة : الانهزام والهرب
(٣) أدؤر : جمع دار

(١) السفاسق : جمع سفيسقة وهى فرند السيف أو ما يرى فى نصله من بريق متموج .
(٢) جزعنا : قطعنا .
(٣) اتسام : الخيزران
(٤) الشجر اسم شجر

حتى انتهيت الى قولى :

ولما هبطنا الغيث تذعر وحشه
على كل خوار العنان أسيل
وثارت بنات الاعوجيات بالضحى
أبابيل من أعطاف غير وبيل

ـ ولما أكمل ابن شهيد انشاده صاح به عنتر : لله أنت ! اذهب فانك مجاز ، « وغاب عنا ، ثم ملنا عنه » .

وبعد لقائه لشيطان طرفه قال له زهير « الى من تتوق نفسك بعيد من الجاهليين ؟ فقال له : « كفانى من رأيت ، اصرف وجه قصدنا الى صاحب أبى تمام ، وفى طريقهما الى صاحب ابى تمام لقيا ابا الخطار صاحب قيس ابن الخطيم ، وقد عتب عليهما لانهما لم يعرجا عليه ، وجرى ابن شهيد على طريقته فى انشاد شعره فقال ان شيطان ابن الخطيم مبتسما « لنعم ما تخلصت ، اذهب فقد أجزتك » .

وهكذا انتهى مع صاحبه من حصوله على الاجازات من شعراء الجاهلية، ولننظر الآن ماصنعه مع صاحبه أبى تمام ، يقول ابن شهيد « ثم انصرفنا وركضنا حتى انتهينا الى شجرة غيناء يتفجر من اصلها عين كمقلة خوراء ، فصاح زهير: يا عتاب ابن حبناء ، حل بك زهير وصاحبه ، فبعمرو والقمر الطالع ، وبالرقعة المفكوكة الطابع، الا ما أريتنا وجهك ! فانفلق ماء العين عن وجه فتى كفلقة القمر ، ثم اشتق الهواء صاعدا الينا من قعرها حتى استوى معنا ، فقال، حياك الله يازهير، وحيا صاحبك ! فقلت وما الذى أسكنك قعر هذه العين يا عتاب ؟ قال : « حيائى من التحسن باسم الشعر ، وأنا لا أحسنه ، فصحت : ويلى منه ،

كلام محدث ورب الكعبة ! واستنشدنى ، فلم أنشده اجلالا له ، ثم أنشدته :

أبكيت اذ ظعن الفريق فراقها :

حتى انتهيت الى قولى :

انى امرؤ لعب الزمان بهمتى
وسقيت من كأس الخطوب دهاقها
وكبوت[1] طرفا فى العلى فاستضحكت
حمر الأنام فما تريم نهاقها
واذا ارتمت نحوى المنى لأنالها
وقف الزمان لها هناك ففاقها
واذا أبو يحيى تأخر نفسه
فمتى أوحل فى الزمان لحاقها

فلما انتهيت قال انشدنى من رثائك ، فانشدته:

أعينا أمرأ نزحت عينه
ولا تعجبا من جفون جماد[2]
اذا القلب أحرقه بثه
فان المدامع تلو الفؤاد
يود الفتى منهلا خاليا
وسعد المنية فى كل مراد
ويصرف للكون ما فى يديه
وما الكون الا نذير الفساد

ويسترسل ابن شهيد فى انشاده حتى يتم القصيدة ، فيقول له التابع « زدنى من رثائك وتحريضك » ، فأنشده قصيدته فى الرثاء التى مطلعها :

أفى كل عام مصرع لعظيم
أصاب المنايا حادثى وقديمى

---

(١) الطرف : الفرس الكريم

(٢) جماد : جمع جمد بفتح وسكون بمعنى جامد

وقال له بعد ان سمع شعره « ما أنت الا بحسن على اساءة زمانك » فقبل ابن شهيد رأسه ، وغاض بعد ذلك النابع فى العين •

وأراد بعد ذلك أن يرى تابع أبى نواس ، وفى طريقهما اليه لقى طوق بن مالك تابع البحترى ، وقد أجازه تابع البحترى بعد ان ابدى شيئا من الامتعاض فقد قال لزهير « لا بورك فيك من زائر، ولا فى صاحبك أبى عامر » ولما لقى صاحب أبى نواس وتناشدا الشعر أعجب به صاحب أبى نواس اعجابا شديدا ، وقال له : « هذا والله شىء لم نلهمه نحن » ، ثم استدناه فقبل بين عينيه وقال له: « اذهب فانك مجاز » •

وحرص ابن شهيد على أن يلقى تابع أبى الطيب المتنبى ، فلما قال له زهير « ومن تريد بعد ؟ » قال له كما يروى لنا « صاحب ابى الطيب ، فقال زهير « اشدد له (١) حيازيمك ، وعطران نسيمك ، وانثر عليه نجومك ، وأمال عنان الأدهم الى طريق ، فجعل يركض بنا ، وزهير يتأمل آثار فرس لمحناها هناك ، فقلت له : ماتتبعك لهذه الآثار ؟ قال « هى آثار فرس حارثة ابن المغلس صاحب أبى الطيب ، وهو صاحب قنص، فلم يزل يتقراها حتى دفعنا الى فارس على فرس بيضاء كأنه قضيب على كثيب ، وبيده قناة قد أسندها الى عنقه ، وعلى رأسه عمامة حمراء ، قد أرخى لها عذبة صفراء ، فحياه زهير ، فأحسن الرد ، ناظرا من مقلة شوساء ، قد ملئت تيها وعجبا ، فعرفه زهير قصدى ، وألقى اليه رغبتى، فقال : « بلغنى أنه يتناول قلت للضرورة الدافعة، والا فالقريحة غير صادعة، والشفرة غير قاطعة »، قال فانشدنى ، وأكبرت أن استنشده ، فأنشدته قصيدتى التى أولها :

ابرق بدا أم لمع أبيض فاصل :

حتى انتهيت الى قولى :

تردد فيها البرق حتى حسبته
يشير الى نجم الربى بالأنامل
ربى نسجت أيدى الغمام للبسها
غلائل صفرا فوق بيض غلائل
سهرت بها أرعى النجوم وأنجما
طوالع للراعين غير أوافل
وقد فغرت فاهابها كل زهرة
الى كل ضرع للغمامة حافل
ومرتجيوش المزن(١) رهوا كأنها
عساكر زنج مذهبات المناصل

(ويشير الى خصومه وحساده قائلا) :

هوت أنجم العلياء الا أقلها
وغبن بما يحظى به كل عاقل
وأصبحت فى خلف اذا ما لحتهم
تبينت ان الجهل احدى الفضائل
وما طاب فى هذى البرية آخر
اذا هو لم ينجد بطيب الاوائل
أرى حمرا فوق الصواهل جمة
فأبكى بعينى ذل تلك الصواهل
وربت كتاب اذا قيل زوروا
بكت من تأتيهم صدور الرسائل
وناقل فقه لم ير الله قلبه
يظن بأن الدين حفظ المسائل

(١) الحيازيم : جمع حيزوم وهو ما استدار بالظهر والبطن والمقصود ان يستعد ويتهيأ

(١) رهوا : اى متتابعة

وحامل رمح راح فوق مضائه
به كاعبا فى الحى ذات مغازل
وما هى الا همة أشجعية
ونفس أبت لى من طلاب الرذائل

ولما أتم انشاد هذه القصيدة قال له التابع : « انشدنى أسد من هذا » فأنشده قصيدته التى يقول فى مطلعها :

هاتيك دراهم فقف بمعانها (١)
تجد الدموع تجد فى هملانها

فلما أتم هذه القصيدة قال التابع لزهير « ان امتد به طلق العمر ، فلا بد ان ينفث بدرر ، وما أراه الا سيحتضر ، بين قريحة كالجمر ، وهمة تضع أخمصه على مفرق البدر » ، ويقول ابن شهيد « فقلت له : هلا وضعته على صلعة (٢) النسر ! فاستضحك الى وقال : « اذهب فقد أجزتك بهذه النكتة ، فقبلت على رأسه وانصرفنا » .

وبعد ان استوفى الحصول على اجازات كبار الشعراء الجاهليين والاسلاميين تطلع الى الحصول الى اجازات من الكتاب البارزين ، وتركه يروى لنا جانبا من قصته معهم :

« قال لى زهير « من تريد بعد ؟ » فقلت : « مل بى الى الخطباء ، فقد قضيت وطرا من الشعراء » ، فركضنا حينا طاعنين فى مطلع الشمس ، ولقينا فارسا أسر الى زهير (١) وانجزع عنا ، فقال لى زهير « جمعت لك خطباء الجن بمرج دهمان ، وبيننا وبينهم فرسخان ، فقد كفيت العناء اليهم على انفرادهم » قلت لم ذاك ؟ قال للفرق بين كلامين اختلف فيه فتيان الجن ، وانتهينا الى المزح ، فاذا بناد عظيم ، قد جمع كل زعيم ، فصاح زهير السلام على فرسان الكلام ، فردوا وأشاروا بالنزول ، فافرجوا حتى صرنا مركز هالة مجلسهم ، والكل منهم ناظرا الى شيخ أصلع ، جاحظ العين اليمنى ، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء طويلة ، فقلت سر الزهير « من ذلك ؟ » قال « عتبة بن أرقم صاحب الجاحظ ، وكنيته أبو عينة » قلت : « بأبى هو ! ليس رغبتى سواه ، وغير صاحب عبد الحميد ، فقال لى « ان ذلك الشيخ الذى الى جنبه ، وعرفه صفوى اليه ، وقولى فيه ، فاستدنانى ، وأخذ فى الكلام معى ، فصمت أهل المجلس ، فقال « انك لخطيب ، وحائك للكلام مجيد ، لولا انك مغرى بالسجع ، فكلامك نظم لا نثر » .

فقلت فى نفسى « قرعك بالله بقارعته ، وجاءك بمماثلته » ، ثم قلت له « ليس هذا أعزك الله ، منى جهلا بأمر السجع ، وما فى المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكنى عدمت ببلدى فرسان الكلام ، وذهبت بغباوة اهل الزمان ، وبالحرا ان أحركهم بالازدواج ، ولو فرشت للكلام فيهم (٢) طولقا ، وتحركت لهم حركة (٣) مشولم ، لكان أرفع لى عندهم ، وأولج فى نفوسهم » .

فقال « أهذا على تلك المناظر ، وكبر تلك

(١) معانها : منزلها
(٢) النسر : الطائر المعروف وكوكبان احدهما النسر الواقع والآخر النسر الطائر ويرى الاستاذ بطرس البستانى انه يشير بالنسر هنا الى نسر الشعراء ويريد به صاحب المتنبى
(٣) انجزع عنا : أى انقطع عنا

(١) صفوى اليه : أى ميلى اليه
(٢) طولقا : الطولق نبات
(٣) مشولم : يقول الاستاذ بطرس البستانى فى شرحها لعلها شولم اشارة الى الرقيقة التى خدع بها الفتى اللصوص فى كلية ودمنه

المحابر ، وكمال تلك الطيالس ؟ » قلت : « نعم ، انها لحاء الشجر ، وليس ثم ثمر ولا عبق » ، قال لى : « صدقت انى اراك مائلت معى » قلت : « كما سمعت » قال : « فكيف كلامهم بينهم ؟ » قلت: « ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدى[1] اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة ، انما هى لكنة اعجمية يؤدون بها المعانى تأدية المجوس والنبط » فصاح : « انا لله ، ذهبت العرب وكلامها ! ارمهم يا هذا بسجع الكهان ، فعسى ان ينفعك عندهم ، ويطير لك ذكرا فيهم ، وما أراك ، مع ذلك الا ثقيل الوطأة عليهم ، كريه المجيء اليهم » .

فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت انه صاحب عبد الحميد ، ونفسى مرتقبة الى ما يكون منه ، « لا يغرنك منه ، أبا عيينة ، ما تكلف لك من المماثلة ، ان السجع لطبعه ، وان ما أسمعك كلفة ، ولو امتد به طلق الكلام ، وجرت أفراسه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه[2] وكل برذنه ، وما أراه الا من اللكن الذين ذكر ، والا فما للفصاحة منه لاتهدر ، ولا للأعرابية لا تومض ؟»

فقلت فى نفسى ، طبع عبد الحميد ومساقه ، ورب الكعبة ! فقلت « لقد عجلت أبا هبيرة — وقد كان زهير عرفنى بكنيته — ان قوسك لنبع ، وان ماء سهمك لسم ، أحمارا رميت أم انسانا ، وقعقعة طلبت أم بيانا ؟ وأبيك ان البيان لصعب ، وانك منه لفى عباءة تنكشف عنها أستاه معانيك ، تكشف است العنز عن ذنبها ، الزمان دفء لاقر ، والكلام عراقى لا شامى ، انى لأرى من دم اليربوع

بكفيك ، والمح من كشى[1] الضب على ماضغيك، فتبسم الى ، وقال « أهكذا أنت يا أطيلس[2] ، تركب لكل نهجه ، وتعج اليه عجه ؟ فقلت : « الذئب أطلس ، وان التيس ما علمت ! » .

فصاح به أبو عيينة « لا تعرض له ، وبالحرا ان تخلص منه » فقلت « الحمد لله خالق الأنام فى بطون الانعام ! » فقال : انها كافية لو كان له حجر[3] ، فبسطانى وسألانى أن أقرأ عليهما من رسائلى ، فقرأت رسالتى فى صفة البرد والنار والحطب فاستحسناها ، ومن رسالتى فى الحلواء حيث أقول « خرجت فى لمة من الأصحاب ، وثبة[4] من الأتراب ، فيهم فقيد ذو لقم[5] ، ولم أعرف به ، وغريم بطن ، ولم أشعر له ، رأى الحلوى فاستخفه الشره ، واضطرب به الوله ، فدار فى ثيابه ، واسال من لعابه ، حتى وقف بالاكداس ، وخالط غمار الناس ، ونظر الى الفالوذج فقال « يأبى هذا[6] ، انظروه كأنه الفص ، مجاجه الزنابير ، أجريت على شوابير[7]، وخالطها لباب الحبة فجاءت أعذب من ريق الاحبة،

---

(١) الفراهيدى : هو الخليل بن أحمد
(٢) كودنه : الفرس الهجين

---

(١) كشى : جمع الكشية بالضم شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه
(٢) الاطيلس : تصغير أطلس وهو الذئب الامعط فى لونه غبرة الى السواد والرجل اذا رمى بقبيح والسارق
(٣) حجر : العقل
(٤) ثبة : جماعة
(٥) اللقم : سرعة الأكل
(٦) اللمص : الفالوذج
(٧) شوابير : يقول الاستاذ بطرس البستانى انه قد يكون المقصود بها قطع لها شكل الزاوية كقطع الفالوذج وغيره من الحلواء

ورأى الخبيص[1]، فقال يأبى هذا الغالي الرخيص، هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فابرزت منه زبدة النعمة ، يجرح باللحظ ، ويذوب من اللفظ ، ثم ابيض ، قالوا بماء البيض البض ، قال غضَ من غض ، ما أطيب خلوة الحبيب لولا حضرة الرقيب ... » .

ولما أتم قراءة رسالته في الحلواء استحسناها وضحكنا عليها ، وقالا له « ان لسجعك موضعا من القلب ، ومكانا من النفس ، وقد أعرته من طبعك ، وحلاوة لفظك ، وملاحة سوقك ، ما ازال أفنه[2] ورفع غبنه ، وقد بلغنا أنك لا تجاري في أبناء جنسك ، ولا يمل من الطعن عليك ، والاعتراض لك ، فمن أشدهم عليك ؟ قلت : جاران دارهما صقب ، وثالث ثابته نوب ، فامتطى ظهر النوى ، والقث به سرفسطة العصا ، فقالا : الى ابي محمد تشير ، وابي القاسم وأبي بكر ؟ » قلت : « أجل » قالا : « فأين بلغت فيهم » ؟ قلت : « اما أبو محمد فانتضى على لسانه عند المستعين ، وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين ، وبلغني ذلك فانشدته شعرا منه (ويذكر ابيات الشعر السابق ذكرها وأولها « ويلفت أقواما تجيش صدورهم ») ويمضي قائلا : « وما أبو بكر فأقصر واقتصر على قوله : « له تابعة تؤيده » وأما أبو القاسم الافليلي فمكانه من نفسي مكين ، وحبه بفؤادي دخيل ، على انه حامل علي ومنتسب الي ، فصاحا ! يا أنف الناقة بن معمر ، من سكان خيبر ، فقام اليهما جني أشمط ربعة وارم الأنف ، يتطالع في مشيته ، كاسرا لطرفه ، وزاويا لأنفه ، وهو ينشد .

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فقالا لي : هذا صاحب أبي القاسم ، ما قولك فيه يا أنف الناقة ؟ قال : فتى لم أعرف على من قرأ ، فقلت لنفسي « العصا من العصية ! ان لم تعربي عن ذاتك ، وتظهري بعض أدواتك ، وانت بين فرسان الكلام ، لم يطر لك بعدها طائر ، وكنت غرضا لكل حجر عابر » وأخذت للكلام أهبته ، ولبست للبيان بزته ، فقلت : « وأنا ايضا لا أعرف على من قرأت » قال : « المثلي يقال هذا ؟ » فقلت : فكان ماذا ؟ قال فطارحني كتاب الخليل » قلت : «هو عندي في زنبيل» قال : « فناظرني على كتاب سيبويه » قلت : « خريت الهرة عندي عليه ، وعلى شرح ابن درستويه » فقال لي : « دع عنك ، أنا ابو البيان » قلت : « لاه الله ! انما انت كمغن وسط ، لا يحسن فيطرب ، ولا يسيء فيلهي » ، قال : « لقد علمنيه المؤدبون » قلت : « ليس هو من شأنهم ، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » ليس من شعر يفسر ، ولا ارض تكسر ، هيهات ، حتى يكون المسك من أنفاسك ، والعنبر من أنقاسك[1] ، وحتى يكون مسافك عذبا ، وكلامك رطبا ، ونفسك من نفسك وقليبك[2] من قلبك ، وحتى تتناول الوضيع فترفعه ، والرفيع فتضعه ، والقبيح فتحسنه ! » .

قال « اسمعني مثالا » ، قلت « حتى تصف

---

(١) الخبيص : حلواء تصنع من العسل والدقيق أو من التمر والسمن أو من الدبس والارز

(٢) أفنه : الافن النقص

(١) انقاسك : جمع نقس وهو المداد

(٢) قليبك : القليب هو البئر

برغوثا فتقول « أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ، ولا زميل [١] ، وكأنه ، جزء لايتجزأ من ليل ، أو شونيزة [٢] أوثقتها غريزة ، أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب قراد [٣] ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسري ليله يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة [٤] ، يجر ذيله على الجبابرة ، يتكفر [٥] بأرفع الثياب ، ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل ببواب، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل الى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور ، وهو أحقر كل حقير ، شره مبثوت ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث ، كفى بهذا نقصا للانسان ، ودلالة على قدرة الرحمن » ، وحتى نصف تعلبا فنقول: « أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة ابن بدر ، كثير الوقائع في المسلمين ، مغرى باراقة دماء المؤذنين [٦]، اذا رأى الفرصة أنتهزها، واذا طلبته الكماة أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط في ادامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه ، غذاؤه حمام أو دجاج ، وغشاؤه تدرج أو دراج » [٧].

وقد كان أبو القاسم الافليلي الذي رأى ابن شهيد ان يحضره في رسالته ليتصدى له بالنقد والتجريح ويخرسه ويبطل أقواله من أئمة النحو واللغو بالأندلس ، وكان كثير الحسد والغرور ، نزاعا الى الجدل والمعاندة ، ويقول عنه ابن بسام في الذخيرة « كان أبو القاسم المعروف بابن الافليلي الذي به عرض ـ ابن شهيد ـ وجعله الغرض قد بذ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي ، والضبط لغريب اللغة ، في الفاظ الاشعار الجاهلية والاسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن ، كثير الحسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده أو نشب فيه ، يجادل عليه ، ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته مع احتياجه اليه ، واكمال صناعته به ، فلم يكن له شروع فيه » وبرغم تحامله على ابن شهيد فانه كان لا ينكر عليه أدبه ، فقد عرض عليه بعض المتأدبين شعرا له استعمل فيه وحشي اللفظ ، فقال له : « تنكب عن هذا الكلام » فقال : « ان ابا عامر يستعمله » فقال له الافليلي : « يضعه في موضعه ، وهو أدرب منك في استعماله » .

ويصف لنا ابن شهيد حالة تابع الافليلي حينما هزم في المساجلة فيقول : « وعلت أنف الناقة كآبة ، وظهرت عليه مهابة ، وبدا منه ساعتئذ بواد في خطابه رحمه لها من حضر ، وأشفق عليه من أجلها من نظر » ويعلق ابن شهيد في هذه الرسالة على هذا المشهد بقوله : « وشمر لي فتى، كان الى جانبه ، عن ساعده وقال لي ، وهل يضر قريحتك ، أو ينقص من بديهتك لو تجافيت لأنف الناقة ، وصيرت له ؟ فانه على علاته زير علم ، وزنبيل فهم ، وكنف رواية » فقلت لزهير: « من هذا ؟ » فقال : « هو أبو الآداب صاحب أبي اسحاق بن حمام جارك » فقلت « يا أبا الاداب ، وزهرة ريحانة الكتاب ، رفقا على أخيك

---

(١) زميل : الجبان الضعيف
(٢) شوينزة : الحبة السوداء
(٣) قراد : دويبة تتعلق بالبعير ونحوه كالقمل في الانسان
(٤) الاساورة : الفرسان الثانيو على ظهور خيلهم والذين يجيدون الرمي بالسهام
(٥) يتكفر : أي يتستر
(٦) المؤذنين : المقصود بالمؤذنين هنا الديكة
(٧) درابع : الدرابع طائر جميل المنظر ملون الريش

بغرب لسانك ، وهل كان يضر أنف الناقة ، أو ينقص من علمه ، أو يفل شفرة فهمه ، أن يصير لى على زلة تمر به فى شعر أو خطبة ، فلا يهتف بها بين تلاميذه ويجعلها طرمذة[1] من طراميذه ؟» فقال : «ان الشيوخ قد تهفو أحلامهم فى الندرة»، فقلت : « انها المرة بعد المرة » .

ثم قال لى الاستاذان عتبة بن أرقم ، وأبو هبيرة صاحب عبد الحميد : انا لنخبط منك ببيداء حيرة، وتفتق أسماعنا منك بعبرة ، وما ندرى أتقول شاعر أم خطيب ؟ » فقلت : « الانصاف أولى ، والصدع بالحق أحجى ، ولا بد من قضاء ، فقالا: « اذهب فانك شاعر خطيب » وانفض الجمع ، والأبصار الى ناظرة ، والأعناق نحوى مائلة » .

ولا يكتفى ابن شهيد بالاجازات التى حصل عليها من توابع الشعراء والكتاب والسخرية بخصومه ومنافسيه ، بل يصف لنا كذلك مجلس أدب لنقاد الجن حضره مع تابعه زهير ، دار البحث فيه حول المآخذ الشعرية ، واغتنم الفرصة ليعرض عليهم بعض قصائده ، ولم يكتف بذلك ، بل أسمعهم شعرا من نظم أبيه ، وأبياتا من نظم أخيه، ومقطوعة من شعر عمه ، وبيتين من نظم جده ذى الوزارتين ، فقال له جنى كان يحدق فيه ، ويرميه بسهمين نافذين وهو يستعيذ منه بالله حينما سمع ما روى من أشعاره وأشعار ابيه وأخيه وعمه وحده « والذى نفس فرعون بيده، لاعرضت لك ابدا ، انى اراك عريقا فى الكلام ، ثم قل واضمحل حتى ان الخنفساء لتدوسه فلا يشغل رجليها » ، ولما سأل عنه تابعه زهير قائلا : « من هذا الجنى ؟ قال له زهير : « استعذ بالله منه ..

(١) الطرمذه : الصلف والمفاخرة

هذا فرعون بن الجون » فقلت : « اعوذ بالله العظيم من النار ومن الشيطان الرجيم ! » .

ويفتن أبو عامر فى رسالته فيعرض لأدب حيوان الجن ، فيقول « ومشيت يوما أنا وزهير بأرض الجن نتقرى الفوائد ، ونعتمد اهل الآداب منهم ، اذ أشرفنا على قرارة غناء [1] ، تفتر عن بركة ماء ، وفيها عانة [2] من حمر الجن وبغالهم، قد أصابها أولق ، فهى تصطك بالحوافر ، وتنفخ من المناخر، وقد علا شحيبها ونهاقها، فلما أبصرت بنا أخلعت الينا وهى تقول ، جاءكم على رجليه ! فارتعت لذلك ، فتبسم زهير ، وقد عرف القصد ، وقال لى تهيأ للحكم ، فلما لحقت بنا بدأتنى بالتفدية ، وحيتنى بالتكنية ، فقلت : « ما الخطب، حمى حماك أيتها العانة، وأخصب مرعاك ؟ قالت: « شعران لحمار وبغل من عشاقنا اختلفنا فيهما ، وقد رضيناك حكما ، قلت : « حتى أسمع ، فتقدمت الى بغلة شهباء ، عليها جلها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة وسخف الحركة ، فقالت أحد الشعرين لبغل من بغالنا وهو :

على كل صب من هواه دليل
سقام على حر الجوى ونحول
وما زال هذا الحب داء مبرحا
اذا ما اعترى بغلا فليس يزول
بنفسى التى أما ملاحظ طرفها
فسحر وأما خدها فأسيل

وبعد ان اكملت المقطوعة أنشدته مقطوعة أخرى لدكين الحمار، ويقول ابن شهيد» فضحك

(١) كثيرة العشب
(٢) العانة : القطيع من صخرة الوحش

زهير وتماسكت ، ، وقالت له البغلة : « أماتعرفني ابا عـامر ؟ » قلت : « لو كانت ثم علامة ! » فأماطلت اللثام فاذا هي بغلة أبي عيسى ، والخـال على خدها ، فتباكينا طويلا وأخذنا في ذكر أيامنا، فقالت ما أبقت الأيام منك ؟ قلت « ما ترين » ، قالت : « شب عمرو عن الطوق ! فما فعل الأحبة بعدي ، أهم على العهد ؟ » قلت « شب الغلمان ، وشاخ الفتيان ، وتنكرت الخلان ، ومن اخوانك من بلغ الامـارة ، وانتهى الى الوزارة » فتنفست الصعداء ، وقالت : « سـقاهم الله سـبل العهد ، وان حالوا عن العهد ، ونسوا أيام الود ، بحرمة الادب الا ما أقرأتهم مني السـلام » قلت : « كما تأمرين وأكثر » .

وكانت في بركة قريبـة منهمـا اوزة بيضـاء شهلاء ، فسأل ابن شهيد تابعه زهير « ما شأنها ؟ قال : « هي تابعـة شيخ من مشيختكم ، تسـمى العاقلة ، وتكنى أم خفيف ، وهي ذات حظ من الأدب ، فاستعد لها » وقد دار نقاش لم يخل من الحدة بينها وبين ابن شهيد ، ويروى لنا أن بعد أن هدأت حدة المنافسة قال لها : « يا أم خفيف، بالذي جعل غداءك ماء ، وحشى رأسك هواء ، الا أيما افضل ! الأدب أم العقل ! قالت : « بل العقل » قلت : « فهل تعـرفين في الخلائق أحمق من اوزة ، ودعيتي من مثلهم في الحباري ؟ قالت « لا » قلت : « فتطلبي عقل التجربة ، اذ لاسبيل لك الى عقل الطبيعـة ، فاذا أحرزت منه نصيبا ، وبؤت منه بحظ ، فحينئـذ ناظري في الأدب ، فانصرفت وانصرفنا » .

بين ابن شهيد وأبي العلاء :

وقد أتى بعض الباحثين المحـدثين وجوها من الشبه بين رسالة التوابع والزوابع ورسالة الغفران لأبي العلاء المعـري ، وقد عاصر ابن شـهيد أبا العلاء ، والقـرائن تدل على أن رسـالة التوابع والزوابع ورسالة الغفران بسنوات عدة ، وقد مهد هذا السبق لرأي القائلين بان أبا العلاء حاول في رسالته محاكاة ابن شهيد ، وقد جعل ابن شهيد وادي الجن مسرح رسالته ، أما ابو العلاء فجعل مسرحها الجنة ، وكلاهما قد عني باظهـار ثروته اللغوية وقدرته الانشائية ، ولم يكن ابن شـهيد بطبيعة الحال ان سـعة اطلاع المعـري واحاطتـه بالمشـاكل العقـائدية والفـكرية ، فقد كان قليل الصبر على طلب العلم ، كثير الاعتمـاد على نوق ذهنه ، وذكاء قلبه ، وتتفق الرسالتان في اتبـاع طريقة الحوار في عرض المسائل الأدبية ، ورسالة التوابع بطلها ابن شهيد نفسه الذي كان يتصدى لتوابع الشعراء والكتاب ليفحمهم بجودة شعره ، وسرعة بديهته ، وبراعته في النقد ، أما ابو العلاء فكان يستتر وراء القارح الذي كتب رسالته ردا على الرسالة الواردة اليـه منه ، وابن شهيد كثير المفاخرة بنفسـه ، وقد عاش ملء حياته ، وأطلق لنفسه العنان ، وقد اكتفى في رسالته باظهار تفوقه على نظرائه من الشعراء والكتاب والسخرية من خصومه ، اما الغفران فانهـا تصـور تأثير حالة الكبت الشديد التي أخذ بهـا ابو العـلاء نفسـه وفرضها على غرائزه ، فقد طاف أبو العلاء بصاحبه في ارجاء العالم الآخر واذاقـه ضروبا من الوان النعيم ، وهي كما قالت الدكتورة بنت الشـاطيء « جنة حافلة بالحركة ، غنية بالعواطف الانسانية، زاخرة بالانفعالات النفسية العنيفة الحادة ، يعقد فيها أبو العلاء مجالس المنادمة ، وفي جنته رقص ولعب ولهو ودعابة » ، ويصف لنا فيها ابو العلاء

المشادة العنيفة التى حدثت فى الجنة بين نابغة بنى جعدة والأعشى ، فيضربه النابغة بكوز من ذهب، فيقول ابن القارح « لا عربدة فى الجنان انما يعرف ذلك فى الدنيـ الغـائية بين السـفلة الهجاج » والأدباء والشعراء فى جنة ابى العـلاء معرضون لنـوبات الغضب ، فهم يتضـاربون ويتـلاحون ويتشاتمون ، وفى جنة ابى العلاء الخمر واللحوم الشهية فهى على حد قول الدكتور بنت الشاطىء « حافلة باشواق البشر وشهواتهم » .

ولم يشر الأدباء والنقاد ومؤرخو الادب القدامى الى هذه المشـابهة بين رسـالة التوابع والزوابع ورسالة الغفران ، والواقع ان فن كتابة الرسائل المطولة كان قد شاع فى القرن الرابع الهجرى، مثل رسائل ابن العميد والصاحب من عباد وابى بكر الخوارزمى ، كما ظهر اسلوب الحوار وخلق الشخصيات فى مقامات بديع الزمان الهمزانى ، أما ارسال الحكمة على السـنة الحيوانات فقد قدم ابن المقفع نموذجا منها فى القرن الثانى الهجرى حينما قام بترجمة كليلة ودمنة ، وسار فى اثاره سهل ابن هارون الذى توفى فى العقد الثانى من القرن الثالث الهجرى فألف كتابه المسمى « ثعلة وعفرة » وكتاب « النمر والثعلب » ، وقد اقتصر ابن شهيد فى رسالته على مناقشة مشـاكل الادب والنقد ، وعرض اشعاره ومختارات من رسائله، أما أبو العلاء فانه عنى بذكر الزنادقة والملحدين والمتنبئين والمتـألهين ، وأخبـار الشـيعة والامامية والصوفية والباطنية واليهود والفرس ، وقد حمل ذلك الذهبى على ان يقول عن رسـالة الغفران : « قد احتوت على مزدكة واستخفاف » كما أخذ عليـه ياقوت الحمـوى ما سـماه استلذاذه رواية اشعار الزنادقة ، اما رسـالة الزوابع فلم نعرض بشىء للعقائد والمعتقدات ، ولا يمكن البت فى ان ابا العلاء قد اطلع عليها وأفاد منها الا اذا ظهرت شواهد ووثائق أدبية تسند هذا الرأى وتؤيده .

على أدهم